قال المؤلف –رحمه الله–: فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ – صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ – وَدِينُهُ بَاقٍ.

وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ. بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قوله: فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ ...إلخ: لما استقر نبينا صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وأوى إليه أصحابه؛ صارت شرائع الإسلام تترى وتتوالى؛ لأن البيئة صارت مناسبة لإقامة بقية أركان الدين؛ فشُرعت الزكاة، وشُرع الصوم، وقد تقدم معنا أن الصلاة قد شُرعت قبل الهجرة بثلاث سنين، وقد كانت مشروعية الزكاة والصوم في السنة الثانية من الهجرة، ولكن الزكاة كأمر عام قد نزلت فيها آيات في مكة: كقول الله عز وجل: {وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ} [المؤمنون: ٤]، لكن تفاصيلها بأنصبائها وشروطها وغير ذلك إنما نزلت في المدينة؛ فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث السُعاة؛ ليقبضوا الزكوات من بهيمة الأنعام ومن الخارج من الأرض من الحبوب والثمار وفق معايير معينة جاء تفصيلها في المدينة، أما الزكاة كشريعة فقد جاء التنبيه عليها في المدينة، وأما الصوم فإنما فُرض في السنة الثانية من الهجرة، وصام النبي صلى الله عليه وسلم تسع رمضانات إجماعًا، وقد كان الجهاد متدرجًا، فلم يفرض لجهاد دفعة واحدة، وإنما كان في بداية الأمر قد أُذن لهم في دفع الصائل وقتال الذين يقاتلونهم، ثم بعد ذلك توسع الأمر حتى بلغ أن نزلت آية السيف؛ فكانت إيذانًا بالجهاد في سبيل الله وإدخال الناس في دين الله عز وجل حتى تكون كلمة الله هي العليا، ومعنى أن تكون كلمة الله هي العليا: لا أن يكون كل واحد من الناس بعينه يدخل في الإسلام لكن أن تكون الهيمنة والقوة ونفاذ الكلمة لسلطان المسلمين، وتكون الأمور العامة بيد المسلمين، فمن أبى وارتضى أن يدخل في عقد المسلمين؛ فإنه يبذل لهم الجزية، وكذلك الآذان فإن الآذان أيضًا فرض في أول الإسلام لعله في السنة الثانية أيضًا، فكان الآذان من أعظم شرائع الإسلام؛ لأنه يدل دلالة واضحة على هوية هذا المجتمع، فإذا جاء وقت الصلاة ثم لعلعت المساجد والمآذن بهذا الصوت الندي؛ عُلم أن هذا البلد بلد إسلام ولو تواطأ أهل بلدة على ترك الآذان لقاتلهم الإمام على ترك هذه الشعيرة، كذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإنه من أعظم الشرائع ومن أعظم خصائص هذه الأمة قال ربنا عز وجل: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[آل عمران: ١٠٤]، وقال سبحانه: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ }[آل عمران: ١١٠]، الواقع أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني إشاعة الحق وإبطال الباطل، وهذه رسالة هذه الأمة: أن تشيع القيم والمعاني الصحيحة الصائبة، وتفشي العلم النافع والعمل الصالح، وتقاوم

البدع والخرافات والمعاصي والمنكرات وهذا إنكار المنكر، إذن هذان الخطان خطان متوازيان الأمر بالمعروف من جهة البناء والتشييد، والنهي عن المنكر من جهة الصيانة والحفظ، فهما من أخص خصائص الأمة المحمدية.

قوله: وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ: لم تزل الشرائع تنزل تترى حتى كمل الدين.

قوله: أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ: يالها من عشر! عشر سنوات مملوءة بالعلم والجهاد والتعليم، أنت لو تأملت مثلًا في آخر عشر سنوات مرت بك ما وجدت شيئًا ذا بال يستحق أن يُذكر، أما العشر سنوات التي أمضاها النبي -صلى الله عليه وسلم- في المدينة، كم تضمنت من غزوة وسرية وخطبة وتعليم وأحداث عظام ببركة عمره -صلى الله عليه وسلم-.

قوله: وَتُوُفِّيَ – صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ –: كما أخبر الله تعالى {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } [الزمر: ٣٠] ، فتوفي النبي -صلى الله عليه وسلم- في يوم اثنين في السنة الحادية عشرة من الهجرة في ربيع الأول، وكان قد بدأ مرضه في أواخر شهر صفر وأول شهر ربيع الأول، وقد شعر النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذا؛ فإنه لما حج حجة الوداع في السنة العاشرة، كان يقول لجموع الناس: (لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا)[1]، فكان في هذا إشعار بأنه أدى المهمة، وأنزل الله تعالى عليه ما سيأتي بعد قليل {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣] ، فكان في هذه الآية إشارة إلى أن المهمة تمت، وأن الوظيفة التي لأجلها بعثه الله تعالى قد حصلت، بل وأنزل الله عليه {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) } [سورة النصر] وكان من فقه ابن عباس وحدثه رضي الله عنهما لما سأله عمر أنه قال: (أجل رسول الله صلى الله عليه و سلم أعلمه إياه)[2]، فكانت هذه إرهاصات ومقدمات تُنبئ عن دنو أجله، وفعلًا قال في آخر عمره: (ما زلت أجد أثر الأكلة التي أكلتها يوم خيبر، وهذا أوان انقطاع أبهُري)، وذلك أن نبينا -صلى الله عليه وسلم- في يوم خيبر دست له يهودية السم الزعاف في شاة مسمومة، وسألت ماذا يعجب النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ فقالوا: الذراع، فجعلت له هذا السم في الذراع، فلما أكل النبي -صلى الله عليه وسلم-ونهس منها نهسة؛ أمر أصحابه أن يتوقفوا، وقال: (إن هذه الذراع أخبرتني بأن فيها سمًا)، وكان قد أكل منها بِشر بن البراء فمات لساعته رضي الله عنه، ولكن الله حفظ نبيه -صلى الله عليه وسلم-[3]، حتى إن عائشة -رضي الله عنها- تقول: (مازلت أرى أثر السم في لهوات النبي -صلى الله عليه وسلم-)، يعني أبقاه الله وجمده يُرى سواده وأثره من الداخل، ثم قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في آخر عمره: (وهذا أوان انقطاع أبهُري)، فلو قال قائل: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد قتلته يهود لما كان بعيدًا من صواب.

---

(١) سنن الترمذي (٨٨٦)، سنن النسائي (٣٠٦٢)، سنن ابن ماجه (٣٠٢٣)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٨٢).

(٢) صحيح البخاري (٣٤٢٨).

(٣) انظر البداية والنهاية (١١٠/٤)، الطبقات الكبرى لابن سعد(٢٠٣/٢).

المهم أن الله تعالى توفاه في يوم اثنين، ودهش الناس دهشة عظيمة، لا سيما أنه في ذلك اليوم قد كان معه نوع نشاط، وأزاح الستر ورأى المسلمين وهم يصلون؛ فسُر واستنار وفرح المسلمون وظنوا أنه شفي، حتى إن أبا بكر الصديق ذهب يتفقد بعض ضياعه خارج المدينة، فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح قال إسماعيل يعني (تعني) بالعالية فقام عمر يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وقال عمر والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن (فليقطعن) أيدي رجال وأرجلهم -وكان عمر رضي الله عنه مصدومًا بهذا الأمر، فكان يخشى أن ينتقض أمر الإسلام- فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقبله قال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا، ثم خرج، فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر) وقال: (أيها الناس من كان يعبد محمدًا؛ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله؛ فإن الله حي لا يموت)، ثم تلا قول الله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } [آل عمران: ١٤٤][1]، فما أن سمعها عمر رضي الله عنه حتى عُقِر لم تكد تحمله قدماه وخر إلى الأرض، وهذا يدل على ثبات أبي بكر ورباطة جأشه وقوة علمه وفقهه في الملمات والأزمات، فتوفي رسول -صلى الله عليه وسلم-، وتلقى الناس هذا الأمر، ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم لتكريمهم له غسلوه في أثوابه ولم يكشفوه ثم كفنوه في ثلاثة أثواب بيض سحولية، ثم صار الناس يدخلون إليه أرسالًا يُصلُّون عليه فرادى، دخل الرجال والنساء والولدان ثم دفن -صلى الله عليه وسلم- ليلة الأربعاء، وقد أدى ما عليه، نسأل الله أن يجمعنا به في جنات النعيم، وهو الذي قام بين الناس في حجة الوداع قال: (وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك وأديت ما عليك)[2]، ونحن والله نشهد أنه قد بلغ رسالات ربه وأدى ما عليه، فرفع أصبعه إلى السماء وينكت به إلى الناس وقال: (اللهم اشهد).

قوله: وَتُوُفِّيَ – صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ – وَدِينُهُ بَاقٍ: أبقى الله هذا الدين العظيم.

قوله: وَهَذَا دِينُهُ: يعني المشار إليه ما تقدم ذكره، وما سيأتي أيضًا.

قوله: لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ: أي خير.

قوله: وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ: إي والله.

قوله: وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ: هذه في الحقيقة عبارة محكمة؛ لأن أصل الدين إفراد الله تعالى بالعبادة.

قوله: وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ: لأنه أصل الشرور كيف لا؟! {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣] {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ } [النساء: ٤٨]، {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي

(١) صحيح البخاري (٣٦٦٧-٣٦٦٨).

(٢) صحيح مسلم (١٢١٨).

مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: ٣١]، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي ذنب أعظم عند الله قال :(أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ)(١)، فأعظم الشر هو الشرك.

قوله: وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ: أي من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

قوله: وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُه اللهُ وَيَأْبَاهُ: ما ترك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شاذة ولا فاذة إلا ونبه الأمة عليها، حتى قال أبو ذر رضي الله عنه: (لقد تركنا محمد صلى الله عليه وسلم، وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علمًا)(٢) الله أكبر، كل شيء تحتاجه الأمة أخبر عنه النبي -صلى الله عليه وسلم-، عن عبد الرحمن بن يزيد عن سلمان قال: قيل له: (لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة). قال: (أجل لقد نهانا -صلى الله عليه وسلم- أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، وأن لا نستنجي باليمين، وأن لا يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار، أو يستنجى برجيع، أو عظم)(٣).

كانت في الحقيقة جوابًا مسكتًا صحيح علمنا نبينا -صلى الله عليه وسلم- كل شيء حتى آداب قضاء الحاجة، تأمل في حياتك اليومية ستجد أنه ما من مرفق من مرافق الحياة الاجتماعية الاقتصادية الأدبية الأخلاقية كل شيء إلا وقد بيّن الله سبحانه وتعالى ونبيه -صلى الله عليه وسلم- لنا منه علمًا نسير عليه {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ } [البقرة: ١٣٨].

قوله: بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً: هذه مهمة وهو أن نعلم أن رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى الناس كافة إنسهم وجنهم، ليست كما يزعم بعض النصارى أنها إلى العرب فقط قياسًا على بعض الأنبياء السابقين، لا، بل رسالته -صلى الله عليه وسلم- إلى الثقلين: الإنس والجن.

واستدل المصنف -رحمه الله- بقول الله تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف: ١٥٨] إذن أمرنا الله تعالى بالإيمان به، وأمرنا سبحانه بالاتباع، لا يكفي مجرد الإيمان به كما يظن بعض الناس أن الثناء على محمد -صلى الله عليه وسلم- يعني الإيمان به، بل لا بد من الاتباع، ومعنى الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم -: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع هذا -، إذن افترض الله طاعته على جميع الثقلين: أما الإنس فالأمر ظاهر فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يوجه دعوته إلى الإنس، لكن حتى الجن أيضًا داخلون في الخطاب، ولما رجع النبي -صلى الله عليه وسلم- من الطائف كسيرًا حزينًا قد رده أهل ثقيف أسوأ رد، أوى إلى وادي نخلة موضع وقام يصلي، فجمع الله له نفرًا من الجن {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ

(١) صحيح البخاري (٤٤٧٧)، صحيح مسلم (٨٦).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢١٣٦١)، والبزار في مسنده (٣٨٩٧)، وحسنه الأرنؤوط.

(٣) سنن أبي داود (٧) وصححه الألباني.

يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأحقاف: ٢٩ - ٣١] إذن بلغت رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى هذا العالم الغيبي غير المنظور -إلى الجن-؛ فهم مخاطبون، ووقع في موقف آخر أن التقى بوفد من جن نصيبين، أتوا إليه كما يفد إليه قبائل العرب تفد إليه وفود الجن، ووقع بعض ذلك أيضًا في العهد المكي فقد حدَّث عبد الله بن مسعود: (أنهم كانوا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- فمضى، قال: فغاب عنا -صلى الله عليه وسلم-: فقلنا: استطير أو اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم وقال: أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ) قَالَ فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ (لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعَرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- (فَلاَ تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ)(١).

، فهذا طرف مما يدل على تعلق دعوته -صلى الله عليه وسلم- بالجن أيضًا كما الإنس، وأنزل الله تعالى سورة كاملة -سورة الجن- تبين قبولهم لدين الله تعالى، ودخول بعضهم في دين الإسلام {وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الجن: ١٤، ١٥].

قوله:]. وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِين﴾[المائدة: ٣]: قال يهودي لعمر -رضي الله عنه- له يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرءونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال أي آية قال {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة: ٣]، قال عمر: (قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم جمعة)(٢)، وهذه الآية تقطع الطريق على كل مبتدع؛ لأن الله قال:{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}: إذن لا سبيل لأحد أن يضيف من عنده إلى دين الله؛ فإن الله تعالى قد أكمل الدين، فمن زعم أنه ينبغي كذا ويستحسن كذا ويستحب كذا بلا دليل ولا بينة؛ فكأنما يطعن في كمال الدين، كأنما يقول: توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبقي عليه بقية لم يكملها، ولو لم يقل هذا بلسان مقاله لكان قائلًا له بلسان حاله، لكن الله تعالى قال: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣]؛ فتمت النعمة ورضي الله لنا الإسلام دينًا، ونحن نرضى بما رضي الله لنا، رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- رسولًا نبيًا.

والله أعلم.

---

(١) صحيح مسلم (٤٥٠).

(٢) صحيح البخاري (٤٥)، صحيح مسلم (٣١٠٧).